اخذهُ عن ابي جعفر بن هرون الاسرائيلي ثم نزع الى الحكمة واشتغل فيها على ابن الصائغ المقدم ذكرهُ فحسن اثرهُ فيها وصنّف وافاد واشتهر بتفسير كتب ارسطو وتقريب منالهـا وكان يجلهُ كثيراً ويرى انهُ قد انهى العلم الى ابعد غاياتهِ . وقد خدم مؤلفاتهِ في اكثر العلوم التي صنّف فيها فاختصر بعضها وشرح بعضاً شروحاً متفاوتة واوضح اشاراتها وبسط اغراضها وعلى الجملة فانهُ استقصى شرح مذهب ارسطو الى ما لا غاية ورآءهُ . ولهُ تصانيف كثيرة غالبها في الاغراض الفلسفية ولهُ مؤلفٌ جليلٌ في الطبّ سماهُ الكليات في معالجة الامراض وشرحٌ على ارجوزة ابن سينآء وآخر على القانون وتلخيص لبعض مؤلفات جالينوس في الاستقصّات والامزجة والعلل والاعراض والحميات وغيرها وهو آخر فلاسفة العرب بالاندلس (ستأتي البقية)

التحنيط

كان من معتقد المصريين الاولين ان النفس بعد مفارقتهـا للجسد ومصيرها الى عالم الارواح تأتي كل يوم وتزور جسدها ما دام على شكلهِ الذي كان عليهِ مدة الحياة وكانوا يسمون هذا الشكل ظلاًّ او شبهاً هوآئياً للجسد وهو انما يبقى ببقآء الجسم القائم بهِ قيـام الاعراض بجواهرها فاذا مات صاحبهُ وانحلّ جسمهُ انقطعت النفس عن زيارة الجسد لتبدُّل شكلهِ وزوال الظل الذي كانت تأوي اليهِ ولذلك كان من همهم ان يطيلوا بقآء الجسم بعد الموت ما استطاعوا ليطول تردد النفس عليهِ وتبقى متمتعةً بنوعٍ من حياتها الارضية التي انصرمت بالموت قبل ان تستعيدها بتةً في اوان البعث ومن

ثمَّ اخذوا يزاولون صناعة التحنيط حتى بلغوا فيها اعظم مبلغ من الاتقان وامكن ابقآء الجسم قروناً كثيرة من غير ان يمسّهُ البلى

اما مواد التحنيط وطريقتهُ فقد وصفها هيرودوطس وديودورس الصقلّي وغيرهما بما محصلهُ انهم كانوا اولاً يفرّغون جميع تجاويف الجسد فيستخرجون الاحشآء ويغسلونها بالافاويه المائعة او يتخللونها بسائل من السوائل الكاوية ثم ينزعون ما في الجسم من الموادّ الشحمية والاجزآء الغشآئية وينقعونهُ مدة شهرٍ او اكثر في محلول النطرون (نترات الصودا) او كربونات الصودا وبعد ذلك يجففونهُ بتعريضهِ للهوآء او الحرارة وفي اثنآء التجفيف يطلون بعض اجزآئهِ بالاطلية الحافظة من خارج ويملأونهُ من داخل بمواد عطرية ومانعة من الفساد ومتى تمّ ذلك كلهُ يلفّون الجسد بعصائب متظاهرة يغمسونها في محلول الصمغ ويشدّونها على جميع جهات الجسد منعاً لنفوذ الرطوبة والهوآء

وكان التحنيط عندهم على ثلاث طبقاتٍ متفاوتة في تمام الصنعة وبالتالي في طول مدة الحفظ تبعاً لمقدار النفقة وكانت الطبقة الاولى على ما يستفاد من كلام ديودورس تقتضي من النفقة ما تقدَّر قيمتهُ اليوم بنحو ٥٣٠٠ فرنك والطبقة الثانية تقتضي ما يقدَّر بنحو ١٥٠٠ فرنك واما الطبقة الثالثة فكانت بما هو دون ذلك بكثير لاقتصارهم فيها على اقلّ ما يمكن من ضروريات العمل . وكانت لهم في اثنآء التحنيط رسومٌ واحتفالاتٌ غريبة لا بأس من وصف بعضها وذلك انهم متى عمدوا الى تحنيط جثةٍ حُملت الى المكان المعدّ لذلك فتسلَّم الى كهنةٍ قد خُصّص كلٌّ منهم لعملٍ من اعمال التحنيط فيبدأ

بتفريغ الجمجمة بنحو صنّارةٍ من نحاس او شبَه تُسالَك في المنخر الايسر ويُستخرَج بها الدماغ ويُملأ مكانهُ افاويه وصموغاً . ثم يأتي واحدٌ من المحنّطين يسمَّى بالكاتب فيرسم بالحبر على الخاصرة اليسرى من الجثة بعد اضجاعها على الارض خطًّا من ١٠ الى ١٥ سنتيمتراً ثم يأتي آخر وبيدهِ مُديةٌ من الحجر فيشقّ الخاصرة على طول الخطّ المرسوم فلا يكاد يتمّ ذلك ويخرق جانب الجثة حتى يتناولهُ الحاضرون باللعنات والطرد ويتبعوهُ برجم الحجارة ولكن بحيث لا يؤذونهُ وهو من احتفالاتهم الدينية . وبعد ذلك يقومون صفًّا وعليهم أمارات الحزن والارتعاد ثم يتقدم احدهم ويُدخِل يدهُ في الشق ويخرج الاحشآء ويغسل آخر داخل الجوف بخمر البلح ويذرّ فيهِ الافاويه العطرية ثم تُغمس الجثة في مغطس النطرون او كربونات الصودا فتبقى فيهِ مدة ثلاثين يوماً كما قالهُ ديودورس او سبعين يوماً كما قالهُ هيرودوطس وبعد ذلك يتمّ العمل على ما ذكرناهُ قبل هذا

اما الاحشآء فكانت تُغسل على حدةٍ وتحنَّط وبعد ذلك فاما ان تُرَدّ الى داخل الجثة قبل مغطس النطرون وهو التحنيط الذي لم يُوفَ حقهُ او ان تُجعَل في اكياس مملوءة موادّ عطرية وتوضع الاكياس مع المومياء بين الساقين او تحت الابط او في مكانٍ آخر واكثر ما يجعلونها في اربع اوانٍ من الخزف او الحجر

وهناك طريقةٌ اخصر من هذه لا يفتحون الجثة ولكن يقتصرون على حقن الباطن من المنافذ الطبيعية بزيت الأَرْز ثم يغمسونها في النطرون وبعد ذلك يطلونها بالقار . واما الفقرآء فكانوا يحقنونهم بدهن الفجل

الحرّيف لرخص ثمنهِ او يكتفون بوضع الجثة في النطرون ثم يجففونها في الشمس والجثث التي تعالج بهذه الطريقة تكون قصيرة البقآء

وبعد ان يلفّوا الجسم بالعصائب على ما تقدم ولهذا العمل احتفالٌ مخصوص ايضاً يجعلون بين تضاعيفها عقاقير وازهاراً طيبة ومواد عطرية كالراتينج الفينيقي والمُرّ ويضعون في اماكن مخصوصة منها احجبةً تحرس الميت في سفرهِ ورآء القبر وينوطون الى عنق المتوفّى لوحةً من الخشب قد كُتب فيها اسمهُ واذا كان من ذوي الثروة يعلّقون في عنقهِ الخنفسآء السرّية بحيث تقع على موضع القلب ويجعلون في اصابعهِ خواتم او طِلَّسمات مع تذهيب الاظفار وتغشية الوجه برقائق الذهب وتغليف الجسم كلهِ بورقٍ من المقوّي مذهّب او مصوّر . وبعد الفراغ من ذلك كلهِ يجعلون الجثة في تابوت او تابوتين من خشب السرو أو الجميز وفي الغالب يضعون كل ذلك في ناووسٍ ضخم من الحجر او الخشب

هذا عند المصريين واما عند غيرهم فقد جآء في سفر الايام الثاني انهُ لما مات الملك آسا دُفن في مقبرتهِ في مدينة داود فاضجعوهُ في سريرٍ كان مملوءًا اطياباً واصنافاً عطرة بحسب صنعة العطارين . والظاهر ان هذا لم يكن الا ضرباً من الاكرام للميت واما اذا ارادوا حفظ الجثة مدةً ما كأن تبقى ريثما تتم ايام المناحة مثلاً فالذي رُوي عنهم في اواخر عهدهم قبل التاريخ المسيحي انهم كانوا يغمسونها في العسل وهو ما صنعوهُ لارسطو بولس على ما ذكرهُ يوسيفوس وهي عادةٌ بابلية

ويُذكَر عن سكان جزُر كناري انهم كانوا يستعملون ضرباً من التحنيط

يشبه تحنيط المصريين الا انهُ اتمّ حفظاً للاجساد وكثيرٌ من مومياتهم باقٍ الى اليوم وقد شوهد عدة رؤوس من رؤوس اهل زيلاندا الجديدة وعليها شعرها الكثيف وملامح وجوهها باقيةٌ بحالها وعليها الوشم الذي يتزينون به لم يتغير منهُ شيء وفي رأي بعضهم ان الطريقة التي يستعملها اولئك المتوحشون ليست الا ضرباً من الدباغ بصنفٍ من النبات مع تجفيف الجسم بالحرارة

اما التحنيط في القرون الوسطى وما يليها فقد كانت طريقتهم فيهِ ان يُستخرَج الدماغ فيُدفَن او يحفظ في محلول السليماني الاكّال ثم تنتزع الاحشآء الصدرية والبطنية وبعد ان تنظَّف تغمس في محلول مركَّز من السليماني فتُترَك فيهِ مدةً ما وتُغسَل التجاويف الفارغة ويُذَرّ عليها السليماني ايضاً وتُطلى بصابون زرنيخي ثم تُرَدّ اليها الاحشآء بعد تجهيزها بما ذُكر وتُحقَن الاوعية بحقنةٍ ممزوجة بالسليماني او الزرنيخ ثم يُلَفّ الجسد بعصائب مغموسة في محلول مركَّز من السليماني

وكانوا اذا فرّغوا الجسد على ماذُكر يتركونهُ مدة شهرين او ثلاثة منقوعاً في محلول مركَّز من السليماني ثم يجففونهُ على شبكةٍ يعرّضونها لحرارة تدريجية في موضعٍ مطلق الهوآء . وهذه الطريقة هي التي كانت تسمى عندهم بالطريقة المصرية وهي اضمن الطرائق لحفظ الجسد زمناً طويلاً غير انها فضلاً عما تستلزمهُ من طول مدة العمل وكثرة النفقة لا يخلو استعمالها من الخطر ولذلك رأى بعضهم استبدالها بطرائق اخر وقد تفننوا في هذا الطرائق باستعمال موادّ مختلفة وُجد ان افضلها كلورور الزنك لما ظهر بعد الامتحان من انهُ يفعل مثل فعل الزرنيخ والسليماني اي انهُ يحفظ الجسد الى ما لا يتناهى .

وقد حُنّطت بهِ جثةٌ وكُشف عنها بعد اربعة عشر شهراً فكانت محفوظة حفظاً تاماً وكُشف عن غيرها بعد ثمانية عشر شهراً فكانت كذلك مع بقآء الجسم على طراوتهِ واستمرار النُسُج كلها على مرونتها مادام السيال المحقون بهِ لا يتبخر . وآخر ما وُصف لحفظ الجثث ان تُدفَن في المُرّ بأن تُجعل في تابوتٍ مملوءٍ منهُ وتُغمَر بهِ من جميع الجهات

وقد اخترع المسيو غاريني طريقةً لم تزل في طيّ الكتمان يمكن ان يحنَّط بها الجسم كلهُ في مدة يومين او ثلاثة وتقتضي من النفقة لا اكثر من ٧٠٠ الى ٨٠٠ فرنك قالوا وهذه الطريقة فضلاً عن ان الجسد يُحفظ بهـا حفظاً كاملاً في جميع اجزآئهِ التشريحيَّة فان هذه الاجزآء تصير في صلابة الحجر ويكون منظرها منظر التماثيل المصنوعة من الشمع وقيل انهُ يمكن ان يُصنَع منها اشيآء مثل التي تُصنَع من الرخام وان تجزَّع كما يجزَّع بعض الرخام في بعض . وقد سبق لنا في مجلد السنة الماضية (ص ١٧٦) نقلاً عن مجلة المجلات ان الدكتور ماربني اهتدى الى مثل هذه الطريقة فتوصل الى اختراع يحيل بهِ جثة الميت الى رخام والعين الى زجاج

وقد رُوي عن رويش الجرّاح الهولندي من اهل القرن الثامن عشر انهُ توصل الى طريقة تحفظ بهـا اشكال الاعضآء ومظاهر الحياة قيل انهُ كان يحقن الجلد بحُقَنٍ من الشمع الملوّن على وجهٍ لم يبُح بسرّهِ قبل موتهِ فماتت هذه الصناعة معهُ وقد بالغ احد الشعرآء في وصف مومياتهِ فذكر ان بطرس الاكبر لما زار مجمع آثار رويش قبَّل ولداً صغيراً من تلك المحنطات تمثل لهُ انهُ يبتسم اليهِ

بقي انهُ في بعض الاقاليم قد تُحفظ الجثث بلا تحنيط اي بمجرَّد طبيعة الاقليم وذلك ان كل احدٍ يعلم ان التجمُّد بالبرد يحفظ الجثث من الفساد وفي سيبيريا من ذلك امثلةٌ غريبة من الماموث المتحجر الذي وُجد تحت الجمد سليماً من العوارض بحيث لم يلمّ بهِ ادنى فساد لا في جلدهِ ولا في لحمهِ . وكذلك الحرّ الشديد يفعل الفعل نفسهُ فقد ذكر همبلد انهُ وجد في المكسيك مومياتٍ من هذا النوع وروى بعض السيَّاح انهُ زار بعض ساحات الحرب في مواضع من البلاد الاميركية شديدة الحرّ لا يقع فيها مطر فوجد هذه الساحات مغطاة بجثثٍ قديمة من الاسبنيول واهل البيرو جافةً سليمةً من الفساد . وهناك مواضع اخرى من طبع تربتها ان تحفظ الجثث من غير ان تكون شديدة البرد او الحرّ منها مدفن القديس نقولا بتولوزومدفن كنيسة القديس ميخائيل ببوردو وقد ذكروا ان هناك ديماساً فيهِ نحو مئة جثة في حالة المومياء وهي من تواريخ متفاوتة ويقال ان منها ما عهدهُ من ست مئة سنة او اكثر واحدثها عهداً وضع هناك منذ مئة سنة

﴿ فونغراف الاب لويس ﴾

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فاثبتناها بحروفها

ذكر بعض الائمة قصة زاغ (غراب) رآهُ محمد بن اسمعيل السعدي وقيل ابو الحسن عليّ بن محمد عند احمد بن ابي دؤاد وقيل عند يحيى بن اكثم .. وأن رأس ذلك الزاغ كان رأس انسان وذنبهُ ذنب غراب وانهُ كان شاعراً فصيحاً عاشقاً .....

فاثبت مشرق البدائع قصتهُ نقلاً عن احد مكاتبيهِ الالبآء كمن ثبتت عندهُ صحتها واستدركها على مقالة الضيآء «التماثيل المتحركة والناطقة» وعقب على هذه القصة